

تاريخية بلا انقطاع . اما الدولة اليهودية القومية فانها ليست سوى تطبيق عملي لفكرة الاستعمار الاستيطاني من قبل يهود ينتمون الى جنسيات واطنان مختلفة ، وينحدرون بصورة اساسية من البرجوازية الصغيرة .

٤ - ٥ - ان الحركة القومية الأوروبية كانت تعتمد بصورة اساسية ومنذ البداية على القوى الوطنية المؤلفة من البرجوازية المحلية والقوى العاملة سواء في تحقيق الوحدة الوطنية او النضال ضد الحكم الاجنبي . اما الحركة الصهيونية فقد ولدت في سالونات حكام بلدان اوربا الغربية الاستعمارية .

٦ - ان الحركة القومية الأوروبية نشأت قبل بلوغ النظام الرأسمالي المرحلة الامبريالية ... [و] كانت في البدء حركة تقدمية ... اما الحركة الصهيونية فقد ولدت في اوج المرحلة الامبريالية التي تستند الى نظريات التفوق العنصري والانتخاب الطبيعي والبقاء للافوى ... فكانت منذ البدء على اساس استعماري رجعي .

٧ - ان القوى والطاقت الفكرية والعلمية والفلسفية والادبية الأوروبية كانت كلها مكرسة لخدمة نمو وتطور الوجود البرجوازي الأوروبي والحركة القومية ... اما بالنسبة للحركة الصهيونية فان المسألة كانت على خلاف ذلك تماما .

واخيرا لا بد من ابداء بعض الملاحظات حول الكتاب :

١ - تميز التحليل لنشوء الصهيونية وتطورها بشمولية وعبق وموضوعية غير انه توقف عند بدء قيام الدولة الصهيونية مما يعطي للكتاب طابعا اكااديميا بعض الشيء ، وذلك لعدم ايلائه التطورات اللاحقة التي مرت بها دولة العدو الاهمية التي تستحقها ، خاصة لجهة ارتباطها العضوي بالامبريالية الاميركية . والاهتمام بهذه النقطة اساسي باعتباره يلقي الضوء على الصراع العربي - الصهيوني الدائر اليوم ، ويحدد وجهة عمل قادرة على فهم علاقة الامبريالية الاميركية بدولة الصهاينة . فاذا كانت « اسرائيل » قد مثلت المخفر الامامي للامبراطورية البريطانية بشكل خاص والغرب الاستعماري بشكل عام ، فهي تمثل الان الحارس الامين لمصالح الامبريالية الاميركية في

(٤) ضمن هذا المد الامبريالي وتوسعه ادرك مرتزل امكانية اقامة دولة يهودية استنادا الى رغبة القوى الاستعمارية وارادتها . فراح يتنقل بين قبرص المانيا والبابسا والسلطان العثماني ، وتشمبرلين وزير المستعمرات البريطاني . وراح يكثف نشاطه في اوساط البرجوازية اليهودية الصغيرة مثريا ومعها الاحساس بالاضطهاد لدى اليهود . ثم توجه للبحث عن الجنود الاوائل الذين ينبغي ان يذهبوا الى فلسطين ، فكانت المسادة الخام الاولى من فقراء اليهود ومعدميهم . غير انه كان يدرك ضرورة جذب المثقفين اليهود فالبرجوازيين منهم . وكانت الخطوة الحاسمة الاتجاه نحو انشاء شركة جمعية تجتذب رأس المال اليهودي لتمويل مشاريع شراء الاراضي الفلسطينية . وهكذا تدريجيا ابتدأت الفكرة الصهيونية تتلاقى مع اهداف بريطانيا حتى كان وعد بلفور خطوة عملية اخرى على تسليم فلسطين الى الصهاينة .

والذي يميز هذا الكتاب ويشكل محوره الاساسي هو بالفعل اثبات ان الحركة الصهيونية ليست حركة قومية يهودية وانما افراز استعماري برز الى حيز الوجود مع صعود الامبريالية في اواخر القرن التاسع عشر . وتورد المؤلفة المقارنات التالية بين الحركة الصهيونية والحركة القومية الأوروبية :

(١) ان الحركة القومية كانت نتيجة طبيعية لتطور النظام الرأسمالي بعد انهيار النظام الاتطاعي حيث كانت تستهدف القضاء على التبعض القومي وتوحيد امة واحدة موجودة فعلا ولها تاريخ مشترك وثقافة مشتركة ولغة واحدة وتعيش فوق ارض واحدة إلا انها مجزأة ... اما الحركة الصهيونية فلم تكن تمتلك ايا من القومات الاساسية لمفهوم الامة القومية .

(٢) ان الحركة القومية الأوروبية كانت تعبيرا عن مصالح الطبقة البرجوازية العليا ... اما الحركة الصهيونية لا تعبّر الا عن مطالب وتطلعات فئة محدودة من المثقفين المنحدرين على العموم ، من البرجوازية الصغيرة المهاجرة من اوربا الشرقية .

(٣) ان الدولة القومية الأوروبية كانت امتدادا لوجود قومي مشترك على أرض مشتركة وموجودة فعلا ويعتق عليها ذلك الوجود القومي بصورة فعلية